سعيد العلمي

سنابل الحياة©

شعر



سعيد العلمي©

سنابل الحياة ــ مجموعة شعرية

الناشر: Visión Libros
مدريد - 2007

صورة الغلاف: مشير عبد الرحمن بلانيس
Mushir Abderrahman Planes

ISBN:978-84-9821-990-6

Depósito legal:SE-6849-2007

إهــداء

إلى ابني عُـمَـر الذي تـَمَـتـّعَـتُ مـعـه بكل

دقيقة من دقائـِق طـفـولته العـَذبـْةِ الصافيه،

فكان أعظـمَ هدية وهـَبـَني إيـّاها الله تعالى.

زَبَـــدُ الـــحَـيــاةْ

ربَي العظيمُ مَلَكْتني مِن مَحْمَلي
ومَلَكْتَ أرْواحَ البَريَّـةِ كـُلِها

ما كـُنتُ أ ُبْعَثُ للحياةِ مِنَ الرّدى
لـْولاكَ مَنْ خـلـَقَ الكـَواكبَ والسُّها

أنتَ الذي نـَثـَرَ النـُّجومَ عَوالِما ً
ونـَظـَمْتَ سِرَّ مسيرها ومَصيرها

مِثـْلَ الطيورِ وقدْعَلتْ بِصُفوفِها
إذ يَسْتـَقيمُ جَناحُها ورؤوسُها

فكيفَ كـُنتُ لكَ العَصِيَ وإنني
واعٍ بأنكَ مالكي للمُنـْتـَهى

ما كـنـتُ أشعرُ أنني لكَ ناكِرٌ
أو أنـّني قد كـُنْتُ غـَرّا ً أبْلـَها

أهفو إلى زبَدِ الحَياةِ ومَوْجِـهـا

ساهٍ ولاهٍ عَنْ سَحيقِ قَرارِها

أسعى إلى الحَسَناتِ أنْشُدُ فيئَها

والسّيِّئاتُ تبُدِّدَنَّ ظَليلَها

وألوذُ بالإحْسانِ مُحْتَمِياً بِهِ

مِنْ شائِناتٍ يَلْفَحَنّ هَجيرُها

مُتقَلِّباً بيْنَ النّضارَةِ واللَظى

صِفرَ اليديْنِ مُكبّلاً بِصِفادِها

ما كان للإنسانِ يَوْمَ تَمَرُّدٍ

لوْ حَكّمَ القَلْبَ المُعَنّى والنُّهى

لوْ راقَبَ العُصْفورَ في طَيَرانِهِ

أو راقَبَ الأطيارَ فوْقَ غُصونِها

و أصاخَ للكـَرَوانِ يـَسْـمَعُ شـَدْوَهُ

أوْ لـلـنـّوارسِ كـَـدَّها وزَعـيـقـَها

أو رانَ للنـَّسْـرِ المُسـيْطـِرِ طائِراً

أو للبـُـيـوض الهُــشِّ في أوكـارها

لوْلاهُ ألغى حـِسَّــهُ وضَـمـيــرَهُ

ومَضى يُوالِفُ فِكرَةً ونقـيضَها

ربّــي تـرَفـّـقْ بي فـَإني مُؤْمِنٌ

مَهْما ثـنايا القـَلـْبِ عَـزَّ مَـنالـُها

قد كـُـنتُ إذ ذ ُكِـرَ الحَـديـثُ لـَخـاشِـعٌ

أو رُتــِّل القـُرآنُ كـُـنتُ لوالِـها

ربّي أنِـرْني مِن لـدُنـْكَ بحِكـْمَـةٍ

وهِدايَةٍ تـَجْـلـي الحَـياة َ بِـطـولِها

ماضٍ يَموجُ وحاضِـرٌ مُـتـَقـلـِّـبٌ
مُسْـتـَقـْبَلُ الأيّامِ لاحَـتْ خـَيْـلـُها

هـذي الخـُطوبُ تـُحيقُ بي بِـصَـلـيـلِـها
تـَبْغي صِـراعاً لا يَـفِـلُّ نـُصـولـَهــا

والعادِياتُ تَـلـُحْـنَ في أفـُـقِ الـدُّجى
كـَمَّ المَـنـونِ وخَـطـْبُـها وزَفـيـرُهــا

لولاكَ تـَرْحَـمُـني لـَكـُنـْتُ لـَقـيـتـُها
ولـَكـُنْـتُ ذقـْتُ سِـنانـَها ونِـبـالـَها

وإذا استـبَـدّتْ بالخِـناقِ مُصيبَـتي
ربّي أجِـرْ كـَيْ لا تـُشـَدَّ حِـبالـُها

مايو 2004

رحـلة الـحـياة

عـندما كـنتُ صغـيراً
كان لـي شـأنٌ كـبـيـرْ

كل سرِّ الحبِّ عِـندي
كيْـفَما سـِرْتُ يـسيـر

كـنـتُ في أعْـيـُنِ أهلـي
ذلك النَّجـمُ الـمُـنـيـرْ

كلُّ فِـعـلـي كانَ عَـذباً
كلُّ ماشِـئـْـتُ يَـصـيـرْ

*

عـندَما كـُـنـتُ صَبـِـياً
كـنـتُ ذا أمـرٍ خـطـيـرْ

كانَ لـي فـي الكوْنِ ملـهى
كـلُّ ما فـيهِ عـشـيـرْ

كل عـصفـورٍ يُـغـنـّي
كل مـصـباحٍ يُــنـيـر

كلُّ وردٍ يَـتــَثـَـنـّى
يملأ ُ الدُّنـيا عـبـيـرْ

*

عِـندما كـنتُ فـتِـيّاً
كـنتُ لا أمشـي، أطيـرْ

جُلُّ خلـْقِ اللهِ عـندي

ليسَ لـي فـيهـِمْ نظـيـرْ

لَيْسَ مِثــْـلي في كـمالٍ

أو سَـدادٍ أو ضـمـيـرْ

كنتُ أركـُـلُ كلّ نـُصْحٍ

كنتُ أهْـزأ ُ مِن نـصـيرْ

*

عـندَما ضـوعِـفـْتُ عُـمْـراً

لم أكـنْ يـوماً قـريـرْ

إذ بآمـالِ حـيـاتــي

كـُلـّـما أدنـو تـطـير

فانـْتـَحَـلـْتُ النـّصرَ وجْـهاً
لسـتُ أقـنعُ بالـمَـصـيـرْ

كلّ يوم ٍ في كِفاحِ
عَـلـّهُ الـيومُ الـكـبيرْ

*

عـندما أصْـبـَحْـتُ كـَـهْـلاً
صِـرتُ أعـدو، لا أسيـر

إذ بأحـلامي نـُجـومٌ
خلفَ كوْنٍ مِـنْ أثـيـرْ

جاهداً بلـّـلـْتُ حَـلـْقي
لم أجِـدْ أبداً غـَديـرْ

قانِـطاً أدركــتُ أنـّي

مِثــْلَ أترابي...الأخير

*

ها أنا أصبحتُ شـيـخاً

ساخراً مِنْ كـُلِّ نـيـرْ

ها أنا اليوم قـبـيـحٌ

يالــهُ يــومٌ مــريـرْ

ها أنا اليوم ضـعـيفٌ

أضْعَفُ الناسِ الكبيرْ

يا صديقي جُـلّ عـُمْـري

ضـاعَ فـي الوَهـْمِ الوثـيـرْ

*

أين ذاكَ الطفـلُ منّــي
أين مـنظـرهُ البَـشـيـرْ

والفتى المغرورُ ولـّى
لم يَـعِـشْ يوماً كـَدِيـرْ

أيُّ عُـمْرٍ هُـوَ عُـمْري
أصـغـيرٌ أمْ كَـبـيـرْ ؟!

هلْ أنا اليوم مُصيـبٌ
أَمْ أنــا اليـوم غــريـرْ

أغسطس 1993

هـيـّا نــضـيـع

هَـيّا نـَضـيعُ في الـمَـديـنـهْ

هَـيّا نـَطوفُ في الـسّاحـاتْ

نـتـَأمّـلُ الأشْـياءَ في سَـكـيـنـَـه

نـَمْـشـي الـهُـوَيْـنـا

نـتـَجَـرّدُ من نـفـسِـيـّةِ الرّهـيـنـَهْ

نـقـْعُـدُ أيْـنـَما نـَشاءْ

نـَعِـي نسـيـمَ الـعَـصْـرِ

نـتـذوّقُ الـهواءْ

هـيّا نـُهادِنُ الحياةْ

نـُسالمُ الأشـجارَ حَـوْلنا

نـُقـبِّـلُ الأطفالَ

نــَنـْشُرُ الرّجاءْ

نـُصادِقُ العُـصْـفورَ والقِـططْ

نـُعانِـقُ المَـساءْ

نـَنـْسى عَـقاربَ السّاعاتِ

والكدَّ والدّيونَ والنـَّمـيـمَـهْ

وتلاطـُمَ الأنـباءْ

هـيّا نـُطـَوِّعُ الآهاتْ

نـُرَوِّضُ الدّموعْ

نستأصلُ العاهاتِ من نـفـوسِـنا

ونَـلـجُـمُ المطامحَ العـقيمهْ

هـيّا نجولُ بالقـبورْ

لنـَسْبـُرَ الحياةْ

ونـنـْبـُذَ القـُشورْ

ونبعـثَ النـّقاءْ

هـيا نـعودُ صِـبْـيَةً

لا نعْـرفُ الضّغـيـنهْ

هيا نـعـودُ أبرياءْ

لا نـَعي سِـوى نسيمَ العَـصْـرِ

وتـبَخـتـُرَ النـِّساءْ

نركـُضُ بَـيْنَ الناسِ

نـُـناطِحُ السّـماءْ

نُقَـلِّبُ الثـّرى

نبْحـثُ عـن جُـذورِنا الدَّفيـنهْ

هـيا نـُجالِـسُ الشـُّيوخْ

نـَرنو لِلبَسْـمةِ الحَـزيـنـَهْ

نـُمارِسُ الوَفاءْ

أغسطس 1992

....

حَـنـيـنْ

أحِـنٌّ إلى بِـقاعٍ لَـمْ أزُرْها
شعـوبٌ ما عـرَفْـتُ لها طـَريقا

بلادٌ ما وَطِـئْتُ مَـدى ثـَراها
وما بـثــَّـتْ إلى نـَفْسي بـَريـقـا

أحِـنٌّ إلى جُـلـوسـي في بـُيـوتٍ
عَـدِمْـتُ بـِها قـَريـبا ً أو صديـقـا

نـوافِـذ ُ خَـلـْفـَها جَـلـَسَـتْ أنـاسٌ
أتـوقُ لأنْ يَـكـونَ بـِها رَفـيـقـا

*

أحِـنٌّ إلى الـبـَريـَّةِ أيْـنَ كانـَتْ
رفـاقي فـي الـحـياةِ وفي المكانِ

أتـَيْـنـا للحَـيـاةِ بـذاتِ وَقـْـتٍ
ولـَمْ نـُسْـألْ بـِـخَـلـْقٍ أو زمـانِ

وكـَيْفَ تـجيءُ أجْـيالٌ وتـَـفنى
وتــَقْضي عُـمْرَها صِفرَ المَعانـي

وجُـلُّ الخَـلْقِ أطـْيابٌ ولـكِـنْ
يُدَمِّـرُ عَـيْـشَـهُمْ زورُ الأمانـي

*

أحِـنُّ إلى العُصورِ الـغـابِـراتِ
إلــى عَـهْدٍ بـِهِ الإنـْـسانُ غـَـرّا

يـَمُـتُّ إلى الطـبـيـعَـةِ كالـرّضـيـعِ
وتـَأبى أنْ تـَـبـوحَ إلـيـْهِ سِــرّا

يَـظـَلُّ يـَصولُ مِنْ فـَجـْرٍ للـَيـْـلٍ
ويقـْضـي يـَوْمَـهُ لا يـَشـْكُ قـَـهْـرا

ويـَرتـَعُ فـي الوُجودِ ولا يـُبالـي
أجاءَ مَـفـازَةً أمْ خـاضَ نـَـهْـرا

*

أحِـنُّ إلى مَجـَرّاتٍ ونـَجْـمٍ
إلى قـَمَـرٍ لـَكـَمْ سَحَـرَ اليـَراعا

أحِـنُّ إلى كـَواكِـبَ بـاديـاتٍ
وأخـرى ما رأيْـتُ لـَهـا شـُعاعـا

وكـلُّ الكـَوْنِ أمْصاري وبـَيـتـي
وما لـي فـيهِ مِـن شَـيءٍ مَـتاعا

وما الأرضُ سِوى فـُلـْكٌ وتـَجـْري
بـِبـَحـرِالكـَوْنِ لا تـَلـوي شِـراعـا

*

أحِـنُّ لـذِكـْرَياتٍ لـمْ أعِـشـْهـا
أحِـنُّ إلى حَـنـيـنِ الآخـَريـنـا

أحِـنُّ إلى مَـراتِـعـهِـمْ صِـغاراً
وقـَدْ تاقـوا إلـيْها دامِعيـنـا

وراحـوا يـَنـْظـُرونَ رُسـومَ عُـمْـرٍ
وأيـّامٍ لـَكـَمْ ولـَدَتْ سِـنـيـنا

رُسـومٌ كـُلـُّهـا فـيـهـا أرانـي
وأبـْدو ماثـِلاً فـيها حَـزيـنـا

* * * * *

أغسطس 2007

المجدُ واللحْدْ

لا تـَقـُلْ لي كـيْفَ كنـتَ وكـَيـف صِـرتْ

لا تـُبـالي إن صـَعَـدْتَ وإنْ هَـبـَطـْـتْ

وحـدَهُ الـلـهُ الـذي لا بُـدَّ بَـتْ

إنْ رأيـتَ الـيـومَ أنـّـكَ قـد خـَسِـرْتْ

ذاكَ فِـكـرُكَ والفِـكـْرُ يَـشِـتْ

*

إن حَـزنـْتَ لأنَّ نـَجـمَـكَ لا يُـعَـدْ

بَـعْـدَ أن كـُنتَ عـلـى العَـرشِ صَـمَـدْ

لستَ وحــدَكَ مَـنْ هـَوى مِـنْ بـَعـدِ مَجْـدْ

كـُـلُّ مَجـدٍ آيِــلٍ يـوْماً لِلـَحْــد

كلُّ ما يـَسـمـو ولوْ رُصَّ يـُهَــدّْ

*

إن غـَدَوْتَ خـَلـْفَ مَـن كـانَ تـَـلاكْ

ورأيـتَ القِـرْدَ طـارَ فـي سَـمـاكْ

والذبابُ النَّجْسُ نـَسراً قـدْ عَلاكْ

لا تـُبالي إنـَّما تِـلكَ رُؤاكْ

لا تحَـدِّقـْنَ بِـمِـرآةٍ سِـواكْ

* * * * *

فبراير 2007

إبـــنـــي

مُـهداة إلى ابني عمر

جاءه صديقه العربي المغترب في إسبانيا ليشكي له تنكر ابنه له بعد طلاقه من أمه ووقوف الابن، محاطا بأمه وعائلتها، بقوة ضد أبيه، رغم كل الحنان والتضحية والدلال الذي خص ابنه بهم طيلة سنيه الاثنتي عشره ورغم حب الابن الشديد لأبيه حتى ذلك الحين، في مأساة عائلية تتكرر بكثرة بسبب معاداة القانون العائـلي في إسبانيا معاداة سافرة للرجال.

قالتْ كَفاكَ وماذا دهاكْ

أتبكي مريراً وكـُلي فـداكْ

ألا اقـشَعْ ضَـبابَـكَ واخْـلـَعْ أساكْ

وداوي جـِراحَكَ... حَـقـِّقْ مُـناكْ

ولا تـَجْـزَعَـنَّ... فـرَبٌّ هُناكْ

وحِكـْمَـتـُهُ لا يطـُـلـْها نـُهاكْ

*

قـلـتُ أحبٌّ وما لـي سِـواهْ

*

قالت أدَمْعٌ تـُريـقُ فـداهْ؟!

وهوَ الذي قد طغى في صِباهْ

وأطـعَـمَـك الـقـهْـرَ سـُمّا جَـفاهْ

ولم يـنـْبُـسَـنَّ ببـِنـْتِ شِـفاهْ

شـهورٌ طِوالٌ قـضَـتْ لم تَراهْ

فكَمْ زاغَ مِنكَ بكِـبْـرٍ وتـاهْ

وأنتَ الذي ما فَـصَـمْتَ عُـراهْ

وألبَسْتـَهُ الأمْـسَ ثـَوْبَ الحَـياهْ

وكِـدتَ تـَطـيـرُ وأنـْتَ تـَراهْ

صَغيرا ً ضَعـيفاً يَطـُـلّ ُ سَناهْ

كأوّلِ خَـيْطِ شُـعاعٍ نـَـراهْ

لِـيَـومٍ مُـنـيرٍ بَديـعٍ ضِـياهْ

*

فـقـلتُ لها: هَـلَّ فـي الـظـُّـلـْمَةِ

وقـد لـفـَّـتِ الأفـْـقَ في دُنـْـيَـتــي

فـصَلـّيْتُ شُكـْـراً ومِنْ بـَهْجَـتـي

وأوْدَعْـتـُهُ غانِـما ً مُـهْـجَـتــي

فــصارَ دلـيـلـي إلى وُجْـهَـتـي

رفـيـقـي وسَـلـوايَ في وحْـدَتـي

وقد مَـدّني اللهُ في نـَكْــسَـتـي

بإبنٍ أُعَـلـّي به هِـمّـتـي

وأغـْدَقـْـتُ بالـحُـبِّ واللـهْـفَـةِ

إلـى يـَوم أنْ وقــعَــتْ نـَكـْبـَـتـي

*

فقالــت غـُـدِرْتَ بـَلـَيـْـلٍ بـَهـيمْ

وهَبَّ يُحـيـكُ الشِّــباكَ اللـئيمْ

وكـَيـْدُ الـظـّلامِ لـَشـَـرٌ جَـسيـمْ

ووَجْـهُ اللـئامِ نـَذيـرٌ ذمـيـمْ

أفـاعٍ تـَمـوجُ بـِسُـمٍّ وخـيـمْ

فـَقـَدْ رُضِـّعـوا كـُـلَّ ثـَدي ٍ سَـقـيمْ

وقد أينـَعـوا فــي حِـياضٍ أثـيـمْ

وهُـمْ يكـفـرونَ بـمُحـيـي الرّمـيمْ

ولــكِنَّـما الـكَيْدُ مَهْما يُـقيـمْ

سَيـَرتـَدُّ عَـكـْساً ويـَبـْقى عَـقيـمْ

*

فـقـُلـْتُ لها قــدْ عَـرَفـْتي عُـمَـرْ

صَـبـِيٌّ يُـقـارِعُ ضـوءَ الـقـَمَـرْ

طويلٌ نـَحـيــفٌ كَعــودِ الشّـجَـرْ

قــويٌ جَـسورٌ كـَقـَدْحِ الشـّرَرْ

ذكــيٌّ يُـقـَيِّـمُ لـَمْحَ الـبَـصَـر

ذكاءٌ بـهِ يـَستحـيلُ الضَّـجَـرْ

وطَلْعَتُهُ الشَّرقُ فيها ظَهَرْ

وفي وجْهِهِ موْطِني قدْ جَهَرْ

وإذ لاحَ كُلُّ أسايَ انْدَحَرْ

غريرٌ نقيٌّ كَقَطْرِ المَطَرَ

وكُنّا سَويا ً بَناناً وظِفْرْ

نَجولُ ونَلْعَبُ حَتّى السَّحَرْ

ألقَنَهُ اللهُ ربُّ القَدَرْ

وخالِقُ كَوْنٍ بِخَيْرٍ وشَرْ

وحـبَّ الـحـياةِ وكـُـلَّ البـَشَـرْ

فضاقَ الِلـئامُ وحــاكوا الضـّـرَرْ

وداروا عَـلـيْهِ بـِزورِ السِّـيـَرْ

وابنـيَ ما زالَ سِـنَّ الصِّـغـَـر

وكـَـيْدُ اللـئامِ عَـلـيْهِ انـتـَصَـر

لـيَقـسو عَـليّ ويُـضحـي حَجَرْ

ويـَجْـحَـدَ حُـبّي كأنْ لـمْ يـَصِـرْ

ويـنـسى سِـنـيـناً معـاً كالـدُّرَرْ

فأسْـلـَمَـنـي أصْـطـَـلـي في سَـقـَـرْ

وخـَـلـّـفـَـنـي قـانِـطاً أحْـتـَضِـرْ

فعَـقـْـلِـيَ زاغ َ وقـَـلـبـي انـْشـَطـَـرْ

وحَـلـقـيَ غـَصَّ أسـاً وانـْفـَجَـرْ

ومِـثـلـيَ في الـهَـمِّ كانَ انـْتـَحَـرْ

أيـا لـيـْتَ أنـّـي أراهُ حَـضـَـرْ

حـبـيـبـي أ ُجَـوِّلُ فـيـهِ الـنـّـظـَـرْ

مُحــيّاهُ روحي لــَـهُ مُـسْـتـَـقـَـرْ

وعَـيْـناهُ بـَرْقٌ لـها قـَدْ بَـهَرْ

مُـشاكِـسَةً شعْـشَعَـتْ بالفِـكـَرْ

وعُـمْـقٌ لها فـيهِ سِـحْـرُ السَّـفـَرْ

ونـظـْـرَتـُهُ جَـدوَلٌ كـَـمْ زَهـَرْ (1)

عُـذوبَـتـُها مِنْ صَـفاءِ الـمَطـَرْ

وبَـسْـمـتـُه تـُـنـْجِـني مِـن كـَدَرْ

وضِـحْـكـَـتـُهُ يَـشْـتَـهـيـها الـوَتـَـرْ

وإيـمـاؤهُ كـَـمْ فـُـؤادي أسَــرْ

ومَـنْـطِـقـُـهُ عَـبْـقَـرِيٌّ الأثَـرْ

وفـي دَرْسِـهِ مُـبْـدِعٌ لا مَـفَـرْ

وفـي لِـعْبِـهِ كـُلَّ شيءٍ كَـسَرْ

فهاجَـتْ بِـنـَفْسِيَ هـذي الصِّوَرْ

لتَـغْسِلَ روحي كَزَخِّ الـمَـطَـرْ

ولـكِنَّ حُـبّي لابْـني اسْـتَـعَـرْ

بـنـارٍ ونورٍ بـقـلـبـي هَـدَرْ

وعَـزْمٌ شـديدٌ بصـدْري زأرْ

فإبـني بـريءٌ بِمـا قـدْ وَزَرْ

ومَـنْ يـَظـلِـمَـنّ فـما قـد ظـَفـَرْ

وطوبى وبُـشرى لِـمَـن قـَدْ صَـبَـرْ

* * * * *

(1) زهر: تلألأ- صفا لونه.
أكتوبر 2006

مرثاة نـِكاسـيو

إلى روح صديقي وزميلي طيلة سنين في إذاعة (راديو ناثيونال دي إسبانيا) نيكاسيو سوليس، المتوفى في شهر أغسطس 2006 بشكل فجائي عندما كان وحيدا في بيته، بعد مرور سنتين على هجره من طرف زوجته ومعها إبنه وابنته. وقد مكث ميتا طيلة سبعة أيام دون أن ينتبه أحد لوفاته.

أعـلـَمُ أنّ الـحَـيـاةَ سَـرابْ
وأعـلـمُ أنـّي وأنـتَ تـُرابْ

وأنّ المَماتَ مَآلُ الحَياةِ
وكلٌّ سَيـَشْرَبُ هذا الشّرابْ

ولـكِنـّكَ الأمْسَ كنتَ السّميرَ
وكان حديـثـُكَ مِلَءَ الرِّحـابْ

وكـُـنـْتَ تـُخَـطـِّطُ باقي الحَياةِ:
"ثلاثونَ عاماً بـَـقَـتْ للـذهابْ"

وكنتَ لتَبدو كَوَرْدِ الرّبـيع
كأنـّك في عُنفـوانِ الشّـبابْ

وكـُنـْتَ تـَجاوَزْتَ خـَمْـسيـنَ عاماً
وأمعَـنـْتَ في العـَيْـشِ دونَ اكتـِئابْ

كمِـثـْلِ رعيـلِكَ، حُـبُّ الحَياةِ
يـُمَيـّزُكـُمْ مِنْ عَجوزٍ وشابْ

وكـُنـْتَ نِكاسيـو لـَخَـيـْرَ رفـيـقٍ
بأيامِ شُغـل طويل ٍ يـُهابْ

لَكَمْ مرةً قدْ مَـشَـيْـنا الرُّواقَ
تـُحَـدِّثـُنـي عـن غـَدٍ لا يـُعابْ

وكَـمْ قهْـوَةً قـدْ أخـَذنـا سَـويّاً
وجدْتـُكَ فيها ملـيءَ الجـِعابْ

بفِكْرٍ غـزيرٍ وقَـلبٍ حَريرٍ
تـُحَـدِّثُ حتى يكِلّ الخِطابْ

وكـُنـْتَ بـِسُمْرَتـِكَ المَشرقِيَّ
فخوراً بيـَعـرُبَ دونَ اضْطِرابْ

تقـولُ "ألا انظـُرْ لوَجهي مَـلِـيـّاً
لتـُدْركَ أصْـلِـيَ دونَ ارتيابْ"

*

لـَكَمْ قد شكوْتَ غلاظـَةَ إبنٍ
فأرْصُدُ في مُقـلـتـَيـْكَ العَذابْ

لـَكَمْ أهـمَلوكَ ولمْ يـَسْمعـوكَ
لتـُضحـي وحيداً وترنو لـبابْ

فـَزَوجُكَ وابناكَ تاهوا بكـُرْهٍ
وخَـلـّوكَ وحْـدَكَ، قانونُ غابْ

ملايينُ مِثـْلـُكَ رَبـّوا وُحـوشـاً
بـمُـجـتـمَعٍ ضلَّ فيهِ الشّـبابْ

وحَـربٌ ضَروسٌ تـُطيـحُ البـيـوتَ
قـوانينُ سُـنـّتْ لنـَشرِ الخـَرابْ (1)

*

فـَمُتَّ وحـيداً وخَـلـْــفَ الجـِدارِ
وسَبْـعٌ مَضَـيْـنَ ولا مِنْ جَـوابْ(2)
تـُحَدِّقُ فيكَ الكَراسي وتـَبْـكي

وتَـسْـألُ هَـلْ فاضَ بَحْـرُ اليَبابْ

وهَـلْ أغـْرِقـَتْ كلُّ نـَفـْس ٍ بـِيَـمٍّ
فأصبحت الناسُ طـُرّاً هَـبابْ(3)

وكـُـتـْبـُكَ تـَلـْطـُمُ خَـدّاً وتـَشكو
وتـَـنـْـشُجُ إذ لا يُـفيدُ انتـِحاب

أصائِصُ وردِكَ في شُرفَةٍ
عويلٌ لـهـا دقَّ وجْهَ السّحابْ

تـُحَـدِّقُ عـيـْناكَ مِنْ خَـلـفِ موْتٍ
بصورةِ ابنـيْـكَ، تـَرمي عِـتابْ

ودَمْـعُـكَ جَـفَّ على وَجـْـنـَـتـَيْـكَ

يـُحدِّثُ عَـنـكَ وحَـتـماً أصابْ

ورسمٌ قديمٌ لـَكـُمْ أجـمَعـيـنَ
حُـبـورٌ يـَشعُّ كـَزَخِّ الشّـهابْ

وأنتَ بوَسْطِهُمُ كالمَـليكِ
وعـيناكَ خاليةٌ مِن ضَـبابْ

وإبْـنـاكَ طِفلانِ مـِثـْـلَ الزُّهورِ
يُحيطانِ ساقـيْـكَ، خيـْـرُ انتـِسابْ

وزَوْجـُكَ ترنـو إليـكَ بـِسَعْـدٍ
تبُـثـُّـكَ شَـوْقاً وحُـبـّـاً مُـذابْ

وأنتَ مُسَجّى وحيداً ومَيْـتــاً

وهُـمْ قدْ نـَسوكَ وأحْـنوا الرِّقابْ

ومرّتْ عَـلـيْـكَ وحيداً بموتٍ
لأيّامُ فـُحـْتَ بـِها كالسّـُبـابْ

وها أنـَـذا عِـنـدَ نـَعْـشِكَ وحْدي
وقد أغـلقوهُ لفـُحْـشِ الخَـرابْ

كأنـّكَ إذ ما هُجـِرْتَ وَولـّوا
لـَتـَـرْفـُضَ مِـنـْهُمْ وَداعَ الكِلابْ

*

نِكاسـيو أجـَدْتَ بمَوْتـِكَ لـكِنْ
تركـتَ ذويكَ برَهْـنٍ العِقابْ

فـَإبـناكَ مـا بـَكـيـا، ما أراقـا

ولا دَمْعَة فـيـكَ... يا للدَّوابْ

وزَوْجُـكَ كانـتْ كـسيرةَ قـَلـْب
وأنـهَكَها الدّمْعُ حـتـّى أذابْ

ولستُ لأعـلـمَ كـَنـْهَ الدّموعِ
ولا سِرُّ غَـمٍّ نـَـهَـشْها بِـنابْ!!

ألم تَكُ قد غادَرَتـْكَ وحـيداً
ولقـّـنـَت الوِلـْدَ نـَهْجَ الذِّئابْ!!

*

نكاسيو الإذاعَـةُ دونـَـكَ حـُزْنٌ
وغُـصـّةُ مَوْتِـكَ مِثـْل الحـِرابْ

بمـَوْتـِكَ مِـتـْـنا قـَليلاً جَـمـيعاً

وخَـلـّـفْـتـَـنا لنـَعـيـقِ الغـُرابْ

* * * * *

(1)إشارة إلى القانون العائلي في إسبانيا (2) ظل نيكاسيو ميتا في بيته الواقع وسط مدريد طيلة سبعة أيام لم ينتبه إليه أحد، وكنا نتصل به من الإذاعة على هاتفه المحمول دونما رد (3) هَباب: هَباءْ.

سبتمبر 2006

الـهـاربـون

أيـُّهـا الـهـاربـونْ
مِن ظـَلامِ القـُبـورْ

لسْـتـُمُ الخـالِـدونْ
بل سَـرابُ الغـُرورْ

كـُلـُّـكـُمْ آيـِبــونْ
للثــّرى والثــُّبـورْ

لا يـُضيـرُ المَـنـونْ
مُـهْـلـةً أو دُهـورْ

كـُلـّـكـُمْ عابـِرونْ

إذْ يَحينُ العبُورْ

كلُّكم خاضِعونْ
قططٌ أو نمُورْ

كلكم ساقِطِونْ
بُلبُلٌ أو نسُورْ

سَيَموتُ السّفيهْ
وسيَفْنى الوَقورْ

وسَيَهْوي الذليلْ
ويُداسُ الفَخورْ

ليسَ يُجدي الكلامْ

لا تـُفـيدُ السّـُطـورْ

ليسَ يـُجدي البـُكاءْ

أو يـُفـيـدُ الحـُبـورْ

فالبـَقاءُ هـراءْ

والمَمَاتُ النـُّـشورْ

والنـُّـشورُ الرّجاءْ

بـِخُـلودٍ ونـورْ

مَنْ أحبَّ الحياةْ

ما دَنا للـفـُجورْ

مَنْ أرادَ الخُـلودْ

ما اسْـتـَبـاحَ الشُّـرورْ

يناير 2006

مـقـبـرة الـغـربـة

وقفتُ وحيدا في المقبرة الإسلامية الوحيدة في إقليم مدريد، في بلدة غرينيون، تحـيط بـي قــبور كُتبت عـلـيـهـا أسماء عربية وإسلامية، بينـهـا أسماء لبعض أترابي من رفاق الغـربة.

قـبـورُ أحـبابٍ وأغـرابٍ هـُـنـا
جَـثـَمَـتْ عَلـَيها صَخرةُ النـِّسيانِ

أسماءُ كان صِحابـُها مِنْ صُحْـبَـتي
في غـُـرْبَـةٍ مـوْفـورة الأشــجـانِ

جـئـنا لـمدريدٍ نـَتـوقُ لأ ُفـْقِـنـا
أحـلامُــنـا كَـشـبـابـِنـا الـفـتــّانِ

ومَضَـتْ سنينُ العـُمْرِ تـَقـْطُرُ خِلسَةً
ونـَــخـالـُهـا لا تـَـنـْقـَضـي بـِزَمـانِ

وتـقـاذفـانـا حَـظـُّـنا وقـَـضـاؤُنا
كـُلٌّ عـلـى نـَهْــجٍ لـهُ وأمـانــي

فـإذا الـتـقَـيـْـنـا كان كلُّ حديثـِـنـا
عـنْ غـابــرِ الأيـامِ والأوْطــانِ

ونظلُّ نصبو أن يكونَ رُجوعَنا
فـي يـومِ ســعْـدٍ مُـقـْبـلٍ رَيـّـانِ

ويظلُّ جُلمودُ الحياةِ مُدَحْـرَجٌ
نَـحْـوَ المَقابـرِ في غَـدٍ ومَكـانِ

حـتـّى وقـفـتُ على لحودِ صحابَةٍ
أسـمـاؤهُـمْ مـحـفـورةٌ بِـجَـنـانـي

وحـيـاتـُهُمْ كانتْ ومُـنـذُ ولادَةٍ
مِـرآةَ أيـّامي ونـسـخَ زَمانــي

ماتوا كـُـهولاً لمْ يَشيخوا لـَمْ يَـنوا
وبِـكـُـلِّ مَــوْتٍ قِـصـّـةٌ ومَـعـانــي

عاشوا كأغـْرابٍ وتِـلكَ قـبورُهـُمْ
فـي غـُـرْبةٍ أخْـرى مَـعَ الـخـُـلانِ

غِرينيونُ ضَمّـتـْهُمْ فـَطوبى لأهْلـِها
يا بَلـدَةَ الأخْـيارِ والعِـرفانِ

* * * * *

فبراير 2007

لا أرجو الإطاله

لَسْـتُ أحْمَقـاً لِأرْجـو الإطالَـةْ
أيُّ نـَفعٍ في الكأسِ عندَ الثُّمالَـةْ

لـَيْسَ عـُمْـرُ المَرْءِ يـَوْماً يـَعـُـدُّهُ
رَهـْنَ بـِئرٍ لـيْسَ يُرجى انـْتِـشالـَهْ

فـَامْـضِ مِـنْـهـا كَـريماً قـَـوِيّاً
أو تـَـفـُـزْ بـِبـَقِـيَّـةٍ وحُــثـالـَـةْ

كُـلُّ إنـْسِـيٍّ ولــوْ تجاوَزَ قَـرناً
إلــى المَـماتِ سائـِرٌ لا مُـحالـَـةْ

إمْـضِ لا تــرى جِـسْمـَكَ وَهْـناً
ضــاعَ كـُـلّ عـَـزْمـِهِ وجَـمـالـَـهْ

قـَبْـلَ أن تـَرى مـِنَ الـخِلِّ نـَظرَةً
فـيــهـا بـُـكـاءٌ دونَ دَمْـعٍ أسـالـَـهْ

قـبْـلَ أنْ تـَفـْهَـمَ مِنْ ذويكَ كَلاماً
لـنْ يـَقولوهُ وإنْ يـَكِـنـّوا مـَقالـَـهْ

إمضِ قـبْـل أنْ يـُسَمّونـَكَ شـَيْـخاً
أو عـَجـوزاً يـُنـْكِـرونَ نـِضالـَهْ

قـَبْـلَ أن تـَعِـشْ حـائِراً كـغَـريبٍ
راحَ جـيـلـُهُ آخـذاً أعْـمـالـَـهْ

إمضِ قَبْلَ أنْ تـَرى الخِـيانة َجَهْراً
قَبْـلَ أنْ يـَعُـقـَّـكَ إبْـنٌ جـَـهـالـَةْ

إمْضِ قَبْلَ أنْ يَخـونـَكَ خِـلٌّ
فـَتـرى وجْـهَ الـخَـلـيـلِ نــَذالـَة

إمْـض ِ ظافِراً قـَبْلَ مـيـتـَةِ نـَجْـلٍ
مـيـتـَةُ الإبْـنِ كـُلـُّهــا قـَتـّالـَة

إمضِ حـَيّاً فـَيـَأسَفـونَ طـَويـلاً
إمـضِ مَـيْـتـاً يـقولونَ "آلَ مآلـَهْ"

*

إنـّمـا قـَوْلِـيَ هَــذْرٌ وهَــذيٌ
إنـّهـا وَقـْفَةٌ سَـريـعَـةٌ وعُـجالـَة

فـإنـّهـا الـحَـيـاةُ، شَـأنُ الإلـهِ

مَـنْ يـُدَبـِّرُ القـَضـاءَ إلا جَـلالـهْ

* * * * *

يناير 2007

الحَقـائِـبْ

حـقائِـبٌ كـبـيــرةْ

حـقائِـبٌ صـغـيـرةْ

وكـُـلـُّهـا نــفـيـسْ

وكـُـلـُّها خـَسـيــسْ

وكـُـلـُّهـا ســـيـانْ

للـنــاسِ والعِـيـانْ

تـصْـطفُّ في المَطارْ

تَـهْـتـزُّ في القِـطـارْ

لـمالِـكٍ   قَديـرْ

وآخَـرٍ فـقـيـرْ

حَـقائِـبُ السّــرابْ

في جَـوْفِـها الخـَرابْ

حـقائـب المـتاعْ

تؤولُ للـضَّـياع

يناير 2005

قـرى الأندلس

أحِـبُّ أن أمُـرّ بالقرى في الأنـْدَلـُسْ

قـُبَـيْـلَ مَوْلـِدِ الـشـَّمـسْ

مِن بَـطـْنِ الأفـُقْ

أحـبُّ أن أرى رَجُـلاً وحـيداً

جالِـساً في السّـاحَـةِ الفـَسيحـةْ

وسَـطـَ القـَريَـةْ

ما كانَ يستطيعُ أن يَـنامْ

مثـلَ باقي الأنـامْ

أحبُّ أن أرى

إمرأة بديـنـةً تـُطِـلُّ مِـنْ بـابـِها

مع إطـْلالـةِ الشـَّمْـسْ

تـُلـقي بالمياهِ بابَ بـَيْـتـِها عـَرْضَ الـشارعْ

أحبُّ أن أرى النـَّوافِــذ َ مفـتـوحـة ً

والستائِـرَ البـيضاءَ المُـتطايِـرَهْ

تداعِـبُها نـَسَـماتُ الصّـباحْ

أحبُّ أن أرى أسراب العَـصافـيرِ

تحْـتـَـلُّ الأسْـفـَـلـْـتْ

وحِـماراً واقِـفاً على مشارفِ القـَريَـةْ

مُـصْـخياً لسَـكـيـنـَةِ الصّـباحْ

أحِـبُّ أن أمُرَّ في طـريقي إلى القـُرى

بالسّـهولِ والكـُرومْ

صـُفوفٌ صـُفوفْ

على مدِّ البـَصـَرْ

وبـأشْـجارِ الزيْـتـونْ

في السّهولِ والسُّـفوحْ

تملأ ُ الفـَضـاءْ

وثـَـمَّ شجَـرَةً عَـتـيـقـَـةْ

ضخمةً ... عَظيمَةْ

يعانقُ ظِلـُّها الطـَّريقْ

وأنا أمُرُّ تـَحْتـَها

* * *

فبراير 2005

المنــاجلُ الرّهـيـفهْ

السنينُ لا تـبُـبْـقي ولا تــذرْ

تــصَـيـِّـرُ الحَـيـاةَ مـوْتاً

وتـَسْحَـلُ الشّبابَ في شَوارعِ الـعُـمُـرْ

تـُحـيـلـُهُ وَهـَنــاً

تـُـنــفِّــذ ُ القـَدَرْ

*

السّـنـيـنُ مناجـِلٌ رهـيـفه

الحياةُ فيـهـا عَـدُوّةُ الحـيَـاةْ

السِّـنينُ حَليـفَةَ القـُبـورْ

السّـنـينُ السّبـيـلُ للعـَدَمْ

السِّنينُ موْتٌ له قِـناعُ الحـيَاة

تملأ الدُّنيا ضـَجـيـجا ً، عَـبـَثـاً

تمـحو الطـارقَ والطـّريقَ والأ ثـَرْ

أبريل 2002

الـحُـزنْ

الحزْنُ أمٌّ رَؤومْ

ورُكـْنٌ أليـفْ

الحُـزْنُ مَـلـْجَـأ ٌ مَنـيعْ

تـلوذ ُ إليـْهِ الرّوحْ

لتـَـلـقـى النـّفـْسَ

في عِـناقٍ حَمـيـمْ

وصَمْتٍ أليـم

بعـيداً عن الجَسَـدْ

فـيه تذرُفـانِ الدُّموعْ

إذ يـَصولُ الحـنيـنْ

تـتـهـامسانِ في أنيـنْ

تـنـْـشـُدانِ الإلتـِـئامْ

إلـى الأبـَـدْ

فِي مَكانٍ قَصِيٍّ

فِي فَضاءٍ سَرْمَدِيْ

حيثُ لا يُفَرِّقْهُما جَسَدْ

*

الحزنُ دمْعَةٌ يَسيرَة

وفِكرَةٌ أسيرة

ورَجْعَةٌ مَريرة

لِكَبوَةٍ عَسيرَة

الحُـزنُ رجْـعَةُ الصّدى

ومارِدٌ ينـوحُ في المَدى

*

الحُزْنُ غَـيْمَةٌ مطيـرَة

تـُرَطِّبُ السـّريـرَة

تـُبَلِّـلُ الـْحَـيـاةْ

لـِيـُزْهِـرَ الأفـُـقْ

ويـُصـْرَفَ الصّديـدْ

إلى قـَرارٍ سَحـيـقْ

*

ألحُـزنُ مَبـكى الحـياة

ومَـربَـطـُ الجـِـراحْ

الحـُزنُ حُـمرةُ الأقاحْ

في براري الوجودْ

للحُـزْنِ رنـّـةٌ رخـيـمةْ

ونظـْرةٌ رحـيـمةْ

وهالةٌ تـلـوحُ مِـنْ بعـيـدْ

تـُواكِـبُ المَـراحْ

كما يَـلوحُ القـَمَـرْ

مِنَ القِـطـارِ في السّــفـَـرْ

*

ألحزنُ دَوْرَةُ الزّمانْ

دورةٌ بلا حـِراكْ

بـِلا صَـريـرْ

دَوْرَةٌ بِلا حَياةْ

في الحُزنِ تَكْفهِرُّ السَّماءْ

ويَخْفِتُ السّناءْ

ويَعْرُجُ الدُّعاءْ

وتُعْقَدُ الغُيومْ

مشحونةٌ بالدُّموعْ

مُتْرَعَةٌ بالرّجاءْ

سبتمبر 2000

لا تـُهاجـِر

لا تـُسافِرْ ... لا تـُهـاجِرْ ... لا تـُغـامِـرْ

إنـّهُ الـتـّعْسُ مـَنوطٌ بالمـُهـاجِرْ

لـُقـمَةُ العَيـْشِ تـُغَـمّـسْ في شَـقـاءْ

لا بـِـهـَجْـرٍ إنـّـهُ شَــرُّ الـكـَبـائـِرْ

عِـشْ سَعـيـداً بـيْنَ أهلِكَ نـاعِـماً

إنـّهُ الـسّعْـدُ وَلـَوْ بـِالفـَـقـرِ صـائـِرْ

إنْ تـَغَـرّبْتَ سَـتـُضـحـي مـالِـكاً

أو فـقـيـرا ً، وكـِلا الأمـرَيْـن ِ عابـِرْ

كـُلَّ قِـرْشٍ تـَجْـنِـهِ فـي غُـرْبَـةٍ

لـَهْـوَ ساعاتٍ مِنِ العُـمْـر ِ لـَهادِرْ

أقرَبُ الأحْـبابِ يـُقـضى عُـمْـرُهُـمْ

بـَيْـنـَما أنـْتَ عَـلـى القِـرْش ِ مُـثابـِرْ

إنـّهـا أيـّامُ عُــمْـرِكَ تـَنْـقـَضـي

لَيْسَ فيها جَذرُكَ المَنبوذُ غائِرْ

كُلَّما ازْدادَتْ سُوَيْعاتُ الغُفولِ

كانَ صَحْوٌ مُفْزِعٌ والقَلْبُ ثائِرْ

إنّها الأعْوامُ تَجري في النُّهى

تَنْشُبُ الأسْنانَ فيهِ والأظافِرْ

كُلُّ مَنْ في أرضِهِ عانى الأسى

حالِماً في لحْظَةٍ فيها يُغادِرْ

مُـقـْبـِلُ الأعْـوامِ يـَحـيـاها الـفـَتـى

دامِعَ العَـيـْنـَيـْنِ مَـحـزوناً وحـائـِرْ

أبريل 1999

إنــّها الخُطوب تنتَظِمْ

مَبـاهِـجُ الحـيـاةِ لا تـَدومْ
وساعةُ المراحِ تـَنـْصَرِمْ

فإنْ مَكَـثـْتَ هانِـئـاً بِـيَـوْمْ
فإنـّها الخُـطوبُ تـَنـْتـَظِمْ

وإنْ سَعِدْتَ فـَوقـَهُ بِـيَـوْمْ
فأمْـنـُكَ الطـّويلُ قـدْ هَـرِمْ

يومانِ قـدْ تـَسُرُّكَ الـحَـيـاةْ
وبـَعْـدَها الشرورُ تـَقـْتـَحِمْ

وأربعٌ لَتـُفـْسِدُ الـوُجـودْ
تـُقَـوِّضُ النـّعـيـمَ بالـحِـمَـمْ

صَديـقـُكَ الذي رَكـَنـْتَ لـَهْ
يـلوكـُكَ اللئـيـمُ مِنْ عَـدَمْ

ونـاكِـرٌ نـَعـيـمُـهُ يـَداكْ
نـاقِـمٌ يـَغِـلـّهُ قـَسَـمْ

وزوجُكَ الذي خَـلـَدْتَ لـَهْ
يـَزُجُّ في حَـياتـِكَ النـّـدَمْ

يَهُـدُّ كلَّ ما بَـنـَيْـتَ مَعْـهْ
ويُرسِـلُ الحُـبـورَ لِلـْعَـدَمْ

وابْـنـُكَ الـّذي تــَهـيـمُ بـِهْ

وحـَولـُهُ فـُؤادُكَ الـْـتـَأمْ

يـُذيـقـُكَ الصـّـفـيقُ مِنْ جَـفاءْ

كأنّ مـا أنـجَـبْـتـَه صـَنـَمْ

أبريل 1999

رسالةٌ مِن مُغترب

أخي الحبـيـبْ

من مدريد أ ُقـْرِأك السلامْ

وكذا سلمى وليْثٌ وابتـِسامْ

قلوبُـنا تـهْـفو إلـيْـكـُمْ

لبـِلادِنا

للتـّينِ والـزّيتونْ ... في أرضِـنـا

يا للـجُـنونْ....

ثلاثـون عاما قد مضت منذ الرّحيل

ثلاثـونَ حَـقـْـلا ً

ثلاثـون نـهراً

ثلاثـون حُرشاً

ثلاثـون سماءاً

ثلاثـونَ شمساً

ثلاثـون شاطـئاً

ثلاثـون حُـبّاً

ثلاثـون صَداقةً

ثلاثـون ذاكرةً

ثلاثـون قلباً

ثلاثـون معركةً

ثلاثـون سلاماً

ثلاثـونَ طـَعْنَةً

ثلاثـون نزيـفاً

ثلاثـون سَفـَراً

ثلاثـونَ عـوْدةً

ثلاثـون طريقاً

ثلاثـونَ بيـتاً

ثلاثون مدينـةً

ثلاثون قريةً

ثلاثـون إحباطاً

ثلاثونَ هَزيمــةً

ثلاثـونَ انتفاضةً

ثلاثـون إذاعةً

ثلاثـونَ فضائيّةً

ثلاثـونَ دَمْعَةً

ثلاثـونَ عويلاً

ثلاثـونَ أغـنية

ثلاثـون معزوفةً

ثلاثونَ كـتـاباً

ثلاثـونَ روايةً

ثلاثـونَ ديواناً

ثلاثـونَ حكايةً

ثلاثـونَ فصلاً

من مسرحية غـُرْبَـتــي

حتى غـَدَتْ مدريدُ من وطنٍ بديل

أحببَـتـُهُ يومـاً

وبـَـغـَضـْـتـُهُ يـَوْماً

وعِـشتـُهُ يوماً، ويوماً كالقـَتـيل

ثلاثـونْ ...

نزَفتْ سِنـيُّ العـُمْرِ

قلبٌ عُصارتـُهُ الحنينْ

قلبٌ تـَمَـرُّدُهُ طويلْ

عقـْلٌ يـُدَجَّـنُ كلَّ حيـنْ

عَيـْشٌ عَليـلْ

لا أنت زرعٌ في ثـَراكْ

تـحـيا تموتُ على هـَواكْ

ولا أنتَ في مدريدْ

بالزّرْعِ السّـليلْ

ثلاثونَ عاماً عـُمْرُهُ شَجَرُ الرّحيلْ

يناير 1999

أهـذي حـقـيقه ؟!

(أمام نـعْـشِـهِ قالت هامسَة دامعة تـُخاطبهُ)

ألا كـيـْفَ تـخـونــنــي!

آهِ كـيـْفَ تـَخـونــني!

أوحـيـدةً تـرومـنــي!

ألسْتَ مَنْ يـَصونـَني!

هَلا نَـسَيْتَ كـَمْ وَعـَدتـَـنــي

ألّا فـُـراقَ بـَيـْـنـَنا

ألّا حـياةَ دونَ حـُبـِّنـا!!

*

أنمـْـشي معاً في دروبِ الحَياةْ

يدٌ في يدٍ وروحٌ بروحْ

نـُداوي الجـِراحَ

ونـُعْـلي الصُّروحْ

حـتـّى وقـدْ صِرْتَ مِنـّي

كروحي...كقلبي

وصرتَ رفيقَ طريقي الوحيدْ

- طريقٌ تلاشــى بها كـُـلّ ضوءْ

رُوَيْداً... رُويداً... بـِمَرِّ السّـنينْ

سنينٌ تساقـَطـَ فيـها الرِّفاقْ

هذا يـَساراً وذاكَ يـَمينْ

كَما يـتـساقـَطُ حَـوْلي الوَرَقْ

إذا لـفَـظَـتـْهُ غـُصونُ الشّجَـرْ

ليـُضْحي مَداساً

كأنْ لمْ يكـُنْ

عَـفَـنـاً يؤولُ عـديمَ الأثـَرْ

كما تـسّـاقـَـطـُ عَـبـَراتِــيـَهْ

علــى وَجْـنـَـتـَيَّ وقـوعَ الـقــَدَرْ-

تــُغـادِرُني الـيـَوْمَ

فـي سِـنِـيِّ الوَهَـنْ

مَـفـجـوعَـةً ... بـِلا فَـنَـنْ

فلا أنا مِنَ الشـّجَـرْ

ولا أنا مِنَ العَـفَـنْ!

*

ماذا دَهاكْ ؟!

ألا أنظـُرْ إلـَيَّ!

ماذا دهاكْ؟!

إلا اشْـفِقْ عَلـَيَّ

ألا ارحم دُموعِيَ والمُسْ يـَدَيَّ

ألا ارحـَم أنيـنــي

ألا ارحَـمْ حَـنـيـنــي

حَـنـيـنـي إلـَيـْـكْ

وأنتَ الذي ما بـَرَحْتَ المَكانْ

تبـّـاً ليـَوْمِـيَ ... تـَبــاً لـِبـَعـدْ

تـَباً لـيـَوم ٍ يـتـيـمُ العَدَدْ

مـهْما تكرّرَ عَـبْـرَ السِّـنينْ

هُوَ اليـَوْمُ ليـْسَ لـهُ أيُّ غـَـدْ

لـهُ ألفُ أمْـسٍ

له ألـفُ قَـبـْـلْ

*

أتــَـذْ كـُرْ؟

يومَ التـَقَيْـنـا هُنـالِكَ وَقـْتَ السَّـحَـرْ **!!**

وكُـنـّا سكارى بـِريقِ الصّـِغَـرْ

نـَطولُ النـّجومَ ونـَبـْنـي القَـدَرْ

ومِنْ يـَوْمِـهـا صِرتَ مِلكَ يـَدَيَّ

تـعـيـشُ وتـَحـيـا عـلـى راحَـتَـيَّ

فكيـْفَ الفـُراقُ بسـِنّ الكـِبـَرْ **!!**

أهذا صـَحيحْ**!!**

أم زاغَ مِنـّي النـُّهى والبَـصَرْ !!

أهذي حـقـيـقة!!

هل العُمْرُ يـُضْحي بـيَـومٍ دقيـقَة!!

أتـُصبـِحُ في الغَـدِ تـَحْـتَ الثـَرى!!

وأصْبـِحُ بـَعـْدَكَ بـَيْـنَ الوَرى

كمَنْ لا يـُحِـسُّ كـَمَنْ لا يـَرى

عـقـْـلي وقـَلـبيَ تـَحـْتَ التـُّرابْ

أحيا ولكـنَّ روحي خـَرابْ

أهـذي حـَقـيـقة!!

أعِـشْـتُ حَياتيَ وَسْـطَ الضّبابْ!!

أكانتْ حَـياتِيَ مَـحْـضَ سَـرابْ!!

نوفمبر 1998

إجراءٌ بسيط

عندما يُصبحُ الموتُ

مجردَ إجراءٍ بسيطْ

وعلى بساطِ السنين السِّحريْ

وبسرعةِ الرياحِ العاصِفَة

نستقرُّ على البوابةِ الخلفيّةْ

حيثُ صمتٌ رهيبْ

ولا مِـن بِـساط

ولا مِن رياحْ

ولا مِن عـقارب في الساعةِ الخـفـيّـة

عـندها يضجُّ الرأسُ

بحافـلٍ من الصُّـوَرْ

بوابـلٍ منَ العِـبـَرْ

عـندها يصيرُ اسمُ كل شيءٍ حَـوْلنا "وداع"

بينما نحـنُ جالسونَ بالإنـتـظـارْ

تحـيطـُـنا أبوابْ

وحـوْلـُنا دموعْ

محـبوسةٌ في مآقِ الرِّفاقْ

عـندها لا نشمَـئِـزْ

لا نغارُ ... لا نـثورْ

فـقط نـُراقِـبُ الأبوابَ حـَولنا

تـُفـتـَحُ بينَ حـينٍ وحـيـنْ

ليعـبُرها هـذا وذاكْ

وهـذهِ وتِـلكْ

إلى غـَيْبـةِ الأبـَدْ

إلى زمانٍ بهـيـمْ

ليـْسَ في أرجائِهِ عَـدَدْ

وكلُّ همِّـنا

ألا يحـيـنَ دَوْرُنا

وأن يتأخّـرَ العُـبورْ

بينما الشبابُ ينـتـظـرونَ خَـلـْفـَنـا

وينـظـرونْ

في أي لحظةٍ يكونْ

ذلك الخـَـبـَرْ

الكَـريهُ والمُـنـتـَظـرْ

إذ لا مَـفـَـرْ

حتى إذا حانَ العُـبورْ

إذ بهِ مُجَـرّدُ إجـراءٍ بسيط

وبعـضُ دموعْ

وصـدمةٌ لـيوْمْ ...

ولوعةٌ لـيَوْمْ ...

وحزنٌ لِـشَهـرْ...

وذِكـرى سَـنَـةْ

أو رُبّـما لِعَـشْـرْ

تُحـيلـُنا لـدَهْـر

عائديـنَ للعـَدَمْ

بانتظارِ النـُّشـورْ

كما عادتْ قـبْـلـَنا

جَـحافِـلٌ من البـَشـَرْ

عـبْرَ آلافِ السنين

فـليْسَ مِن جديـدْ

مُجردُ إجراء بسيط

نـوفـمبر 1998

يا ابنتي

بُـنـيَّــتــي

ألا انظري وقعَ الحَـياةِ في السّريرة

بُنيانـُها ... آثارُها ... أطلالـُها

ألا اسبـُري جـَواهِـرَ الآثارْ

ألا انبـُذي بـَصيرَةً ضَريرَة

فإنَّ للحَياةِ في وُجودِنا وتـيـرَة

فتارةً نـَعـيـشـُـها مَـريـرة

وتـارةً نـَخـالـُـها مَـريـرة

ومرَّةً نـُصـيـبُ فـَرْحـةً

نـَخـالـُهـا الخـَلاصْ

لتـُضْحي خَـنـْجراً في الظـَّهـْرِ

وغُـصـَّةً في الحَـلـْقِ

ومِـحْـنـَةً عَـسيـرة

لكن رحمةَ الإلـهِ

نـفَـحتْ بروحِـنا هِدايةً مُنـيـرة

ودَوْحَـةً خـضيرَة

رحمـةٌ كـَيانـُها

ورَحْـمٌ جـُذورُها

وعـلى غُـصونـِها

يـُزْهـرُ الصـّفـْحُ العَـظيـمُ

ليُذيبَ في رحـيـقـِهِ

مرارةَ الجـَريـرَهْ

صغيرةً تكونُ أمْ كـَبـيرهْ

والصَّـفـْحُ

هُو الزَّهـرُ والغُصْنُ والدَّوْحَة ُالخَضيرة

نوفمبر 1998

لا تـقـلْ لــي

يا حبـيـبـي لا تـَقـُـلْ لـي أنّ حُـبـَّكَ للأبـَدْ

هذه الأيـّامُ بالمِرْصــادِ فاحْـصـيــها عَـدَدْ

كَمْ حبـيـبٍ قد تـَغَـيـَّرَ كَمْ لـهـيبٍ قدْ خَمَـدْ

كم رضيعٍ شابَ يومــاً جاحداً أمّاً عـَبـَدْ

*

يا صديقي لا تَـقـُلْ لي "طابَ عـَيْـشي وسَلـَكْ"

جَوْهَـرُ الأيامِ ، إنْ تـَنـْساهُ، مِنْ فِعْـلِ "هَـلـَكْ"

هَـلْ رأيـْتَ الكـَوْكـَبَ السّيـّارَ مَأمونَ الفَلـَكْ ؟

كـُلُّ يـوم آفـلٍ كـَوْكـَـبٌ فـيهِ هَـلـَكْ

10 يناير 1997

خَـفَـقَــاتْ

نُشرت في ملحق صحيفة القبس الكويتية في 26 يناير 1977

- 1 -

علـِمتُ لإنـّـني حَيٌ
وليت العِلمَ ما وصلا

فمنذ علِمتُ عـن نفـسي
وجدتُ الخوفَ مُتـَّصلا

- 2 -

رأيتُ العُـمْـرَ ينطـَلِقُ
كسَهمٍ، لـمْ أجـدْ رامـي

فصرتُ العُـمرَ أستـَبـِقُ
لعلـّي للـهـُدى سـامـي

- 3 -

وكان الناسُ أشرافٌ

بـأخــلاقٍ وأعــمـالِ

فصار الأشرفونَ اليومَ

أهــلُ النـّــقــدِ والـمـالِ

*

ألا يـا صاحـبي مهـلاً

فـلا تخْـدعْـكَ أقـوالـي

ولا تحسبْ رنينَ المالِ

أحـلامـي وآمــالـــي

فلستُ بطالبٍ عـِزّاً

وفـي ذا العـزِّ إذلالـي

ولستُ بحاملٍ عـقلي
إلى قـيـْدٍ وأغـلالِ

فإنك إن تـُذَكـِّرنـي
وتـأتـيـنـي بأمـثــالِ

وتسـتـَشهـدْ بنابغةٍ
ثريِّ الأصلِ والآلِ

ومن لم يقـْضِــها يَوْماً
بـجـوعٍ أو بـإقــلالِ

لكنتَ وربـّـنـا العالـي
لـتـَرثـيَ جَهْـلَ أمثالي

فإن المالَ والإبداعَ

عكسُ الحالِ والـحالِ

- 4 -

إذا أحبـبـتَ إمرأةً

وتـُهتَ بـِحُـبـّها تيـها

ورحتَ تجولُ بين الناسِ

تـمـدحُ كلَّ ما فـيـهـا

وتستـتـشهـدْ بـحادِثـَـةٍ

وتسـتخـلصْ معانـيها

وصرتَ إذا رأيتَ الشمسَ
تـحـسـبُ أنـهـا فـيـهـا

وصرتَ ترى جـموعَ الناسِ
أدنـــى مِــن مـعـالـيهـا

وتحسبُ أن كلَّ الخـلـقِ
لا يـصِـلوا لـكَـعـبـيـها

وترفَعُـها... تـُزَيِّـنـُّهـا
تـُعَـمِّـقـُهـا... وتـُـعليـها

وتجعلُ من محاسِـنِها
سـماءاً أنتَ تـُسمـيهـا

وأشجاراً ... وأفـناناً
وأزهاراً تـهـيمُ بـها

تمــهّـلْ... لا تكونَ لـها
رداءاً كـيْ تـُغـطـّـيـهـا

وَدَعْ عَـيْـنـَيْكَ تـمـتـحِـنـانِ
تـسـبُـرُ كلَّ مـا فـيــهـا

وحــاذِرْ من مخالـبِـهـــا
خَـفـَـتـْها أو تـُـعَـرّيــها

- 5 -

ألم تـنظرْ أبا عَـمـرٍو

لهُ أنـفٌ وعـيـنـانِ

وكيفَ أتى يُحيّيني

ويـبسُـمُ لي بـإمعانِ

فإنْ كُـنـْتَ أخا عـقـلٍ

يـُفكـّـِرُ دون إتــقـانِ

فإنك تحْـسَـبُ الناسَ

ملائـكةً بإحــسـانِ

ولكن إن تـبـَصـَّرْتَ

وطِرْتَ بلا جـناحـيْن

ورُحْتَ تـهيمُ فوقَ الأرضِ

تـسـبـُــرُ كُــلَّ إنـســانِ

وجدتَ الناسَ ليسَ لــَهُـمْ

ســوى همٌّ أو اثـــنــانِ

وأوّلُ هــمّــهــمْ مــالٌ

وشـــرٌّ ما هــو الــثاني

- 6 -

خداعُ الـناسِ مـذهـبـهمْ

وحُبُّ الـنــاسِ أخلاقي

ولكنْ كيفَ أجعـلُ لـي

صديقاً مِـنهُـمُ بــاقــي

وكلُّ الناسِ يـبـتعدونَ

عـن حـُبي لإمـلاقــي

- 7 -

تعـالَ مـعــي تـأمَّـلـُهُ

ملـيـكُ اللـيلِ والسَّـحَرِ

فكـُلُّ النـَّـفعِ مِنْ نـَظـّـرٍ

إذا لم يـَــرْنُ للـقــمَـرِ

ككأسٍ ما بـهـا مــاءٌ

كأزهارٍ بلا عـِطـْـرِ

- 8 -

إذا حاقـتْ بـكَ الدُّنـيـا

بكُلِّ سِلاحِـها الضاري

وراحـتْ فـيـكَ تـذبحُ

كلَّ تصـميمٍ وإصرارِ

فصِرْتَ ترى أديمَ الأرضِ
أسـوَدَ قاحـلاً عــاري

فــلا لــوناً لأشــجــارٍ
ولا عِـطــراً لأزهـارِ

ولا الشمسُ الكريمةُ قدْ
شعرتَ بدفئـِها الساري

ولا أغـراكَ مـغـْربُـها
وفـيهِ جَـلالـةُ الباري

وإذْ بالـنــاسِ أعــداءٌ
وأصحــابٌ بــأعــذارِ

وصرتَ تراكَ منبوذاً
كَمنْ يَطـلـوهُ بالـقــارِ

وما عـمَـلٌ بـدأتَ بهِ
ولم يُكْـسَرْ كَـفَـخّـارِ

فحظـُّـكَ لـيـلةٌ سَـوْدا
خـَلـَتْ مِـنْ أيِّ أنـوارِ

فلا نـَجْـمٌ ولا بـَرقٌ
ولا أثـَــرٌ لأقــمــارِ

فلا تـُذعِـنْ لـِمِدْيَـتِـها
تـَـحـدّاها بإكــبــارِ

فمَهْما تعصِفُ الأقدارُ

يـهْـدأ ُ كلّ إعـصـارِ

ومـهْما تحـرقُ النـيرانُ

أصـلُ الـنـورِ بـالـنـّـارِ

- 9 -

وقيلَ بأنَّ حُبَّ الأهْـلِ

مِنْ مـهْـدٍ إلى لـحْـدِ

يَصحُّ القولُ لوْ زادوا:

"شريطـةَ أن تـكـُنْ عَـبدي

وما دامـتْ لكَ الأيـام ُ

أنعمُ من شذى الوردِ"

- 10 -

ألا يا خائـفَ الأقـدارِ

لا تجـزعْ مِنَ القَـدَرِ

فلا أنـتَ المُخَـلَّـدُ لا

ولا أنتَ الذي يـجري

فإنَّ العُـمْـرَ مَركَـبَـةٌ

تسـيرُ بـنـا ولا ندري

فـلا تحـياهُ في حَـذَرٍ

فكَمْ ماتوا من الحَـذر

سبتمبر 1975

العَــدَمْ

قَدْ أتـَيْـنا يا عـَوالـِمْ

ما لـَنا فيــها الحياةْ ؟

قد أتـَـيْـنا مِـنْ غَــياهِـبْ

عـَدْمُـنــا فـيهـا انـتَـهـى

لـنْ نـَطولَ مِـنَ السّــعادةِ

لو وَهَـبْـتـيـنا السّـعـادةْ

عُـشْرَ عُــشْرٍ مِـنْ حُــبورٍ

وانـْشِـراحٍ فـي العَـدَمْ

*

قـدْ وَهَـبـْتـيـنـا القـُـوى

عَـلـّـنـا نـَصِلُ الأمـَـلْ

ثـُمَّ قـَدْ أقـْـصَـيْــتـِـهِ

كُـلـّـما كِـدْنـا نـَصِـلْ

ذاكَ حـَـتـّـى تـُـنـْسِـنـا

إذْ سَلـَبـْتـينـا الـقـُنـوط

أيُّ مـَوْتٍ أنْ نـَعـيـشَ

وأيُّ عـَيْــشٍ أن نـَمـوتْ

يناير 1972

القـمّـةُ البَـيـْضاءْ

يا قـِمَّـةَ الـجَـبَلِ البَيْضـاءْ

أنــا ذاهِـبٌ إلـَيْـكِ

سَأرْكَـعُ عـِنْدَ قـَدَمَيْـكِ

فإن مِـتُّ قـَبْـلَ لـُقياكِ

أكونُ مِـتُّ فـَداكِ

بـِلا نـَدَمْ

يا قِـمّـةَ الجَــبَلِ البَيـْضـاءْ

*

بَحَثْتُ عَنْكِ جُلَّ عُمْري

فَلَمْ أجِدْكِ

شَوّهْتُ وَجْهي

وانْحَنى ظَهري

وراحَ عَقْلي

حنيناً إلَيْكِ

عَبْرَ السِّنينْ

يا قِمّةَ الجَبَلِ البَيْضاءْ

*

لـَكَمْ أَلـَحّـوا قائـِلِيـنْ

أنـَّـكِ مـَحْـضَ خـَيالْ

وأنّ الأرضَ كـُلـّهـا وِدْيـانْ

وَرَبـَتـوا عَـلى كَـتـَفـي

وضـَحِـكوا مِــنـّي

ولـَطـّخوا وُجـوهـَهُـمْ بـالسّـوادْ

وابـتـَعَـدوا عَـنـّي

يا قـِمّـةَ الـجَـبـَلِ البـَيْـضـاءْ

*

لـقَـدْ رَأيـْتـُكِ في الطـّـفـولـةْ

وعَـرَفـْـتُ وَجْـهَـكِ الصَّـبـيـحْ

وحَـتـّى مَـطـْـلـَعِ الشّــبابْ

كـُـنْـتُ خالِـيـاً مِـنَ الجِـراحْ

ثـُـمّ جاءَتْ الكـُهـولـَةْ

وأُوْصِـدَتْ كـُلُّ الطـّرُقْ

تـصدُّني عَـنـْـكِ

يا قِـمّـةَ الجَـبَلِ البَـيْـضـاءْ

*

تـلـمّـسْـتُ الطريقَ إليْـكِ

مِـئاتِ المَـرّاتْ

وَقـبْـلَ أن تـُصيـبـَني الكـَلالةْ

حـمَلـْتُ الصَّـبـْرَ زادي

والأمَـلَ شَـرابي

وَبـَعْضَ الـفـُـتاتْ

ورُحْـتُ أجولُ بالحـَياةْ

وأهـَشـِّــمُ الأسْـنانَ الصَّـفـراءْ

التي كانَتْ تُحْـدِقُ بي

كـُـلـَّما غـَـفـَـتْ عـَيـْنـاايْ

وجاءَ ألـْفُ زَمْـهَـريـرْ

وألـْفُ قـَيـْظ ْ

حَـتـّـى يـَئِـسـْتُ من لقياك

يا قِـمَّـةَ الـجَـبَـل ِ الـبـَيـْضاءْ

*

والآنَ هُـنالِكَ عِـنـْدَ الأفـُقْ

أراك ِ تـَبـْرقـيـنْ

إليّ تَـنْظـُريـنْ

تـُنْسيـني كـُلّ الـجِـراحْ

والقَـيْظَ والزّمـْهَريـرْ

وانحـناءَ ظـَهـري بـِمَـرّ السِّـنـيـنْ

وكـُــلَّ المُـغَـفّـلـينْ

وأسْـنـانـَهُـمْ الصَّـفـْراءْ

يا قـِمّـةَ الـجَـبَلِ البـَيْضـاءْ

*

أنـا ذاهـبٌ إلـيـكِ

وسَأركـعُ عِـنـْدَ قـَدَمَـيـْـكِ

ثـُمّ أصـْـعَـدُ ... أصـْـعَـدْ

ولـَنْ أمـوتْ

قبلَ أنْ ألـْـثـُمَ شَـفـَتـَـيـْكِ

وألـقـي بـِرأسي عـلـى صَدْرِكِ

فإن ضَمَـمْـتـِنــي إلـيْـكِ

مِــتُّ هانِـئـاً

لأنّ الأرْضَ لـيْـسَـتْ كـُـلـّـها وِدْيانْ

يا قِـمـَّةَ الـجَـبـَلِ البـَيْضاءْ

أكتوبر 1973

كـُنْ كالحَـياة

هـَجـَرْتُ دُموعِـيَ في ثانِـيـَهْ

وعـَـزمـي شَـحَـذتُ وإصراريـَهْ

خـَـرَجْـتُ مِـنَ الغارِ أبـْغـي الحُـقـولَ

وأقـْطـُـفُ أزهـارَها القانِـيـَهْ

وأصْـعـَدُ حَـتــّى رؤوسِ الجِـبالِ

وأصْـرُخ ُ مِـنْ قِـــمَّــةٍ عالِـيـَهْ

فـيأتي الصَّـدى بِـدَويِّ الـرِّيـاحِ

قَـوِيـّاً يُـبَـدِّدُ أدْرانـيَـهْ

أبـَلـِّلُ وجْـهـي بِـماءِ الغـَديـرِ

وأغـْسِـلُ روحي بآمـالِـيَـهْ

وأرنو إلى الشـَّمـسِ عِـنـدَ الشـُّروقِ

تـُنـيـرُ سَـمائي وآفاقـيَـهْ

تـُغَـنـّي البَلابـِلُ حَـوْلي وتـَشـدو

تـقـولُ "الحـياةُ حـياةٌ هِـيَـهْ

فإنْ عَـذ ّبـَتـْكَ وإنْ صَـدَّعَـتـْكَ

فـكـُنْ مثـْـلـَها، إنـّها عاتِـيـَهْ"

أبريل 1974

حكايَة القَمَر

هلا سمعتَ يا أخي حكايةَ القمَـرْ؟

إذ فاخَـرَ النجومَ في السَّحـَرْ

إذْ قال أنـّهُ يفوقـها جَـمالْ

يـُمـَتـِّـعُ الزّمانَ والبَـشـرْ

وأنه للحبِّ حِـصْـنهُ الحصينْ

يـذودُ عـنهُ أيـّما خـَطـَرْ

وإنه للـشـّـِعْـرِ كالقـَـلـَمْ

وأنه للـَّـحْـنِ كالـوَتـَـرْ

وأنه للنـّـهْـر ِ كالخـَريـرْ

رفـيـقـَه الوحـيد في السّـفـَـرْ

وأنـّـهُ للضائـع ِالدّلـيلْ

وأنـّـهُ للعـَيْن ِ كالبـَصـَرْ

*

وهكذا اسـتـمرَّ بالفـَخارْ

كأنـَّـهُ الإلـهُ ما انـْـفـَطـَـرْ

فإذ ْ بصوتِ طفلةٍ رقيقْ

يُهَشّمُ الغرُورَ والضَّجَرْ

مُسبّحا لخالِقِ الزّمانْ

والنَّجمَ والكواكبَ الأ ُخَرْ

ومن بالبَحْرِ سبَّبَ السَّحابْ

ومن بالسُّحب أودَعَ المَطَرْ

ومَنْ بالشَّمسِ سبَّبَ الضِّياءْ

ومَنْ للضوءِ سَّبَّبَ النَّظَرْ

ومَـنْ بالليْـلِ أتحَـفَ النـّهارْ

ومَـنْ بالـنـورِ زيـّنَ القـَمـَرْ

فاهـتـزَ من كلامِـها الهـلالْ

وحـكّ في جـبـيـنـِهِ حُـفـَرْ

وقال الشمسُ ما لها حَـنانْ

تـُذبـّـِـل الورودَ والشـّجَـرْ

فإنـها اليـبابُ والجـفـافْ

وإنـني الحـياةُ والسَّـمَـرْ

*

فعاد الصوتُ يعـبـرُ الظـلامْ

يوبـِّخُ الغـُـرورَ إذ فـَجـَـرْ

يقول: " أمي أنظري إلـيْـهْ

فإنـَّهُ بالـسِّـرِّ ما عَـثـَـرْ

وإلا كـَيفَ يشـتـُمُ الشموسْ

وكيـفَ مَـنْ يـُنـيـرَهُ غـَدَرْ

فلولا الشَّـمـسُ ما لـهُ جَـمالْ

ولولا نـورُها لـَما ظـَهـَرْ"

فإذْ بالأمِّ تنْجِدُ الفتـاةْ

تقول: "ما العجيبُ في الخَـبَـرْ؟!

ألم تري الإلهَ كالشـمـوسْ

ألم تري الإنسانَ كَمْ وَزَرْ

وكـيْـفَ كل حُـرْمَةٍ أبـاحْ

وكـيـفَ كـُلّ ساعةٍ كـَفـَرْ

يـَوَدُّ لـوْ يـُناطِحَ السّحابْ

ونـَجْـمُ كِـسـرى قـَبـلـَهُ غـَبـَرْ

وللإنسانِ نِعْـمَةُ الذكـاءْ

ونورُها استـحالَ في القمر"

يونيو 1974

الـثيـران

قَـتَلوهُ ... قَـصّوا ذ َيْلَـهُ ... سَحَـلوهُ (1)

"حيوانُ"... قـالـوا كـيـف يحـتـرِمـوهُ ؟!

"أنـْظُرْ إلـَيْهِ ... لهُ قرْنـانِ يَلتـَمِـعـانْ

كـالسّيْـفِ تـَحْـتَ الشّمْسِ، ما ظـلـَموهُ"

*

أنـطـونُ يـَعـْمَلُ سَيِّداً في مَكـْـتـَبٍ

الـكـُـلُّ يـَخْـدِمُهُ ... ويـَحْـتـَـرمـوهُ

يـَقْـضـي النـّهـارَ مُعطـّراً في بَذَّةٍ

كـَلِـماتـُهُ لـَمّـاعَـةٌ... وحِـذاهُ

فإذا تـَنـَزّهَ في المَـساءِ وَجَـدْتـَهُ

في ساحةِ الثـّيرانِ ... ما فـَقـَدوهُ

"أوليهْ" يـَصـْرُخُ مِنْ صـَميم ِفـُؤادِهِ (2)
كَيْ يَطعَنوا ذا الثورَ ... كَيْ يُؤذوهُ

"أوليهْ" تَسْكـُنْ في مَريضِ عـُروقِهِ
مُـنذُ الطـّفولـَةِ ... عَلـّموهُ ذ َووهُ

ويَظـَلُّ يـَهْـتِفُ كـَالـّذي سَكـَنـَتْ بـِهِ
سَبـعـونَ شيـطاناً ... ولا يـَدَعـوهُ

جذلانُ يـَزْعَـقُ والجُمْهورُ في مَرَجٍ
خـَرَجَ المُـصارعُ ... كـُلـُّـهُـمْ حَـيـّوهُ

يَمْشـي كَـطـاووسٍ ... لـهُ ألـوانـُهُ
وَيـَظـُنُّ كـُلَّ الخـَلـْقِ قـد عـَبـَدوهُ

صَـدَحَتْ لهُ الألـْحانُ منذُ ظـُهـورهِ
وكَـأنـّهُ "فيليـبـُهُـمْ" ... بـَعَـثـوهُ (3)

ويجولُ يـنـْظـُرُ مِـنْ عـَلـيائـِهِ هَـمَـجاً
بـِبـَغـيـضِ "سادِيّاتـِهِـمْ" صَـنـَعـوهُ (4)

وتـَراهُ يـَحْـنـي رَأسَــهُ لِـجَـمـيـلـةٍ
" ثـَوْري لـِسِحْركِ فِـدْيَـةً جَـعَلوهُ"

*

بَـطـَلٌ يـَقـولـونَ المُـصـارِعَ أنـَّـهُ
أيْـنَ البـُطـولـَةُ، والغـَريـمُ يـتـيـمُ ؟!

ولـَهُ السِّلاحُ وعَقـْلـُهُ ومُـسـاعِـدٌ

ومُـساعـِدونَ، وكـُلـُّهُـم تـَنـْظِيمُ

فـَنٌّ يَقولوا، وَيـْحَـهُـمْ مِنْ جَهْلِهِمْ

أيُّ الفـُنـونِ كـَيـانـُهـا الـتـّكـلـيـمُ ؟!

يوليو 1974

(1) بعد قتل الثور يجري قص أذنه أو الاثنتين أو ذنبه أو جميعـها، جائزة للمصارع لحُسن أدائه، ثم يسحلونه إلى خارج الحلبة. (2) أوليه olé هي هُتاف الإعـجاب في إسبانيا. (3) فيليب من أسماء ملوك الاسبان خاصة فيليب الثاني (4) السادية، التلذذ بالتعـذيب نسبة إلى الفرنسي مركيز دو ساد.

إلى ميغيل إرنانـديث (1)

تـِجاهَ السُّـهـولْ

تـِجاهَ الحُـقـولْ

وصَوْبَ الرّبيـعِ الظـّريفْ

"أوريويلا" تـُعانـِقُ ذاكَ الأفُقْ (2)

وطِـفـْـلٌ نـَحـيفْ

يَـسوقُ الـغـَنـَمْ

صفيرٌ ... نُباحٌ ... ثـُغاءٌ ... نـَغـَمْ

----

(1) ميغيل إيرنانديث Miguel Hernández هو من أبرز الشعراء الإسبان في القرن العشرين وكان في صغره راعي غنم. في نهاية الحرب الأهلية الاسبانية اعتقله المنتصرون التابعـون للجنرال فرانكو وزجـوا به في السجن حيث أصيب بمرضي التفوئيد والسل ومات شابا خلف القضبان في 24 مارس 1942. **(2)** أورويلا بلدة الشاعر إيرنانديث في الشرق الإسباني.

وقَلْبٌ كَبـيـرْ

سِنـيـنٌ ثـَمانْ

زُهـورُ ... عبـيـرْ

سَـمـاءْ

صَـفاءٌ عـَمـيــقْ

وطـِفـْـلٌ فـَقـيـرْ

يـَوَدُّ يـَطـيـرْ

لأعلى الشّجَـرْ

إلى حَـيـْثُ لا يَستـطيعُ البَصَرْ

ميغيل !

بُـنَـيّ الـحَـبـيبْ

وَرثـْتَ أباكَ لِـخَـيْرٍ وشَـرْ

فإن هُوَ راعٍ

فأيْنَ المَـفَـرْ ؟

*

"أوريويلا" خَـلـْفَ الجِـبالْ

وميغـيلْ خَـلـْفَ الـحَـديـدْ

"أليكـانتِيه" عَروسُ تـَنـوح (3)

وطِـفـْـلٌ وزَوْجَـةْ

يـَعـيـشانِ وَسْطَ الصّـديدْ

ولا مِنْ طـَعامٍ سِـوى مِنْ بـَصَـلْ (4)

شُـهـورٌ طـوالْ

---

(3) أليكانتيه المدينة التي توفي إيرنانديث في سجنـها غير بعيد عن أورويلا. **(4)** كتبت إليه زوجته وهو في السجن تقول له أنه ليس لديها وابنهما ما يأكلانه سوى البصل، فكتب الشاعر رائعته المعروفه "تهويدة البصل".

رياحُ الحَـنـيـنِ تـَهُـزُّ الـجِـبالْ

"نيرودا" وكـُلُّ الرِّفاقْ

رَجاءٌ عـَقـيـمْ

فإنّ العُـواءَ لِـسانُ الذئابْ

ومدْريـدُ أضْـحـَت مَـغارَةْ

فـَوَفـِّرْ عِـتابَكَ صارتْ جَـحـيـمْ

*

حُـروفٌ ... حُروفْ

رَصاصٌ يُـطـَوِّعُ أعْـتى الظـُّروفْ

شَبابـيكُ مِـنْـها يَـطـُلُّ الأمَلْ

وحـَقـْـلٌ وسَـهْـلْ

صَـفاءُ السّماءِ العَـمـيـقْ

صَفيرٌ ... نـُباحٌ ... ثـُغاءٌ ... نـَغَـمْ

كـَحُـلـْمٍ لـَذيـذْ

*

وتــَمـضـي شـُـهـورْ

مُدَحْرَجَـةً مـِنْ أعالي الجـِبالْ

فأيـنَ الأملْ ؟!

سـُعالٌ ودَمْ

وبــَرْدٌ شَـديدْ

شَوارع مَدريد صـُمٌّ وبُـكـْمْ

شَـبابُ أفـَلْ

*

ميـغـيلْ !

أيا أبـتاه الحبـيـبْ

لخـيـرٍ وشـَـرْ

فإنْ أنـْـتَ حُـرٌّ

فأيـْـنَ الـمَـفـَــرْ

أغسطس 1974

نــهـرُ الـظـلام

هدوءٌ وصمتٌ عـميقْ

وشـمـسٌ تـفـيقْ

صباحٌ رقـيقْ

على بـَغْـتـَةٍ، تعالى زعـيقْ:

"حريــقْ !! "

وآخرُ دوّى:

"يا ويـْلتاه

سَـنُضحي رماداً

ألا أنجِـدونا !!"

... هُدوءٌ وصَمْـتٌ عَميـقْ

ولا مَن يدوسُ أديمَ الطـّريقْ

أناسٌ تـَنامُ

وشمسٌ تـفيقْ

..."سـنـُضْحـي رماداً" !!...

*

ونـادى المؤذِّنْ

نـِيامٌ وبـِئسَ الفَريقْ

هَـيـّا وصَـلـّـوا

كَفاكـُم نـُعاساً

ألسْـتـُمْ تـَشمّونَ هذا الرّحـيقْ؟!

فـهذا شُعاعُ الرّبيعْ

*

وغَنـّتْ عَـصافـيرُ حـَوْلَ الزّهورْ

وغـرّدَ طَيْـرٌ هُنالِكْ

لباقي الطيورْ

هَيّا نطيرْ ... هَـيّا نَطيـرْ

*

صراخٌ يُزَلزِلُ حـتـّى الصُّخورْ

ويَلـطـُمُ خَــدَّ السّماءْ

وأمٌّ هنالِكَ تـسقي الزُّهورْ

وترنو إلى الطفلِ فوقَ السَّـريرْ

فـتَـهـفو إليهِ كـَنفـْحِ الطـُّيوبْ

حريرٌ يُداعِـبُ أنـقى حَريرْ

ويَـجْـذبـُهـا الزَّوْجُ نحوَ الفـِراشْ

"دَعـيـهِ سعـيداً ... دَعـيـهِ قـَريرْ

تعالـي إلـى الحُـبِّ والانـتـعِـاشْ

فـهذا صباحٌ لكـُلِّ حـَبـيـبْ"

علـيْهِ اسْـتـَقـَرّتْ... جَـنـاحَ فـَراشْ

إذا حَطّ فَوْقَ وُرودِ الغَديـرْ

وصـوتٌ يدوّي بعيدا هناك:

"حريقْ!! ... حريقْ!!

ألا أنـْجـِدونا و إلا الـهَـلاكْ

ألا أنجـِدونا ... ألا مِـنْ صَديقْ ؟! "

*

صِـغارٌ يـَضجّونَ حَـوْلَ الفـُطورْ

طـعامُ كَـثـيرٌ لِبَطـْنٍ صـغـيرْ

وأمٌّ رَؤومْ

تـُعِدُّ طـَعاماً لجَمْعٍ غَريـرْ

وَصَوْتٌ يـَمُرُّ كـَعَـصْفِ الرِّياحْ:

"ألا أنْـقِـذونا... ألا مِـنْ صَـديقْ؟!"-

وأضْلاعُـهُـمْ مِلؤُها الإنـْشِراحْ

وكـُلٌّ بقَـهْـقَهَـةٍ لا يفـيقْ

فهـُمْ عاشقـونَ لكـُلِّ صَباحْ

ولا يـَجْرؤونَ على الإلتـِفاتْ

لنـَهْـرِ الظـّلامِ

بـِوادٍ سَحيـقْ

وَصَوْتٌ يـُمـَزِّقُ حـتـّى المـياهْ

بـِقاعِ البـحارِ وقلـْبِ المُحـيـطْ:

" ألا أنـْقِـذونا بـرَبِّ الحـياةْ

ألا أنـقِـذونا ... ألا تـَفـْقـَهـونْ ؟! "

*

فـَحَــيٌّ يـَميدُ بـِسُـكـّانـِهِ

وشمسٌ تـُذيبُ سَبـيـكَ اللـُّجَـيْنْ

وكـُلٌّ لأجْـلِ احْـتِراقِ اليَدَيْنْ

يـَشُـقُّ الطريقَ بـأسْـنــانِهِ

*

سُـكونْ .....

وجومٌ صَفيـقْ

نـُعـوشٌ تـَمـُرُّ

وكَلبٌ يَفِرّْ

ويلعَنُ ذاكَ الصّديقْ

يونيو 1975

الخـئون

كان له صديق، وكان يعتبره بمثابة الأخ الذي لم تلده أمه، حتى كان منه الغدر. وطـيلة سنوات من القـطيعة لم يكف الغادر عـن اغتياب المغـدور، وحياكة الشائعات حـوله.

ولـَكـَمْ نـَثـَرْتُ مِـنَ الشّهامَةِ في الوَرى

فـحَـصَـدْتُ مِـنهُـمْ خَـيْبةً وتـَـنـَـكـُّـرا

لكِـنـّهُ طـَبْـعي وَلـَيْــسَ يـَــسـوؤنــي

لـُـؤمَ الأحـبـّةِ لا أشـُــمُّ ولا أرى

يأتـي اللئيمُ إلــيْـكَ قـَلـْـباً غاشِــماً

والبَسْمَةُ الوَضـّـاءُ فـيـهِ تـَـنــَـكـُّـرا

ويَـظَـلُّ يـُمْـعِـنُ في المَديحِ مُداهِـنـاً

يُخفي وَيُـبـْطِنُ ما في قلبهِ اسـتَعَـرا

وتـَراهُ خَـلفَـكَ مِـثـْلَ الكَلـْبِ في لـَهـَثٍ

ولَـيـَـنـْهَـشَـنــّكَ إذ ما قد قضى وَطـَرا

ويروحُ يـنـبـحُ في الأرجاءِ مُـدَّعـيـاً

بــأن ســيّـدَهُ قـد عـضَّـهُ وجَــرى

هـذا الـخـَـئـونُ وهــذِهِ أخْـلاقـُـهُ

مَنْ شـَـذ َّ يـَوْماً خانَ الشـمسَ والقَـمـَرا

*

عِـشْـتَ الحَـياةَ مُـخادِعـاً لا تـَرتـَـوي

أو لاهِـثـاً تـَجْـري ورا الأضْـدادِ

الطـّـبْعُ عِـنـْـدَكَ خـِدْعَـةٌ مـَرْسومَـةٌ

وتـَظاهـُــرٌ بالــدّيـنِ والإلـحــادِ

ومَلأتَ بـَيْـتـَـكَ بالغَــنائـِمِ ظالـِمــاً

مِـنـْهُـمْ ومِـنـْهـُـنَّ ودونَ سُـهــادِ

وبَرَعْـتَ في اسْـتغلالِ كُلِّ فـريسةٍ

وجـَمَعـْـتَ مالاً لم تـَـفـُــزْ بـِوِدادِ

أمـْثولـةً للنـاسِ صِرتَ وقِصّـةً

مِـن خائِــنٍ ومُــداهِــن كـَيـّــادِ

هـذا الخَـئونُ وهـذِهِ أخـْــلاقُــهُ

مَنْ شـَذّ خـانَ بكلِّ قـلـبٍ عادي

*

أنـْتَ الـجَبانُ وقـَدْ بَرعـْتَ مُجَرِّحاً

ومُـلـَفـِّـقــاً ومُـؤَلـِّـبــاً مَـكـّارا

ولـَكـَمْ دَعَـوتـُكَ أن تـُفـنـِّدَ حُـجّـتي

لا تـَجْـرُأنَّ عَـلى الـوُقـوفِ جـِـهـارا

تـبْـقى تـُراوغ ُ لا تـُــواجـِهُ مَــرّةً

مِـثْـل الثـّعـالبِ لا تـُـطـِلُّ نـَهارا

كُـثْـرٌ منَ الأعـْوامِ مَرّتْ دونـَما

عَـقـْلٌ لدَيْـكَ ليَـلـْجُـمَ المِنـْشارا

فلسانـُكَ المَـعـفـونُ ما طـَهّـرْتـَهُ

لمْ تـَـفـْقـَـهِ الإرشـادَ والإنـْذارا

هذا الخـئـونُ وهـذِهِ أخــلاقـُــهُ

مَنْ شَذ ّ شِـبـْراً خانـَكَ الأسْـفارا

*

وتحارَ أن تـبدو ربيبَ ثـقـافــةٍ

أنتَ الطبيبُ وقد بقـيتَ جَهولا

ولقد خَـبَرتـُك في الثـقافةِ مُفـْلساً

لمْ تــَقـْـرأنَّ مِنَ الكِتـابِ فَــتـيـــلا

هذي الثــّقـافـةُ ثـُلـَّةٌ مَحـْظـورةٌ

مـهْما بـَرَعـْتَ تـَبَخْـتـُراً تـمـثـيلا

هـيـّا وكـَوِّنْ جُـمْـلـَةً مَــفـْهـومَـةً

في محْـفـَــلٍ مهْما يَـكـُنَّ هـَزيلا

أقحَمْتَ نفسَكَ في الثّــقافَةِ عـُنوَةً

الضَّـبْعُ يـَحْـلـُمُ أنْ يكونَ جَـمـيـلا

هـذا الخـئـونُ وهــذِهِ قـَسَماتـُـهُ

يـَقـْضـي الحَـياةَ مُنافِقاً وخَـذولا

مَنْ زادَ بَعْـدِ الإنحطاط جَـهالـَةً

لـَمْ يأتـِهِ خَـجَـلٌ وعـاشَ رَذيـلا

يناير 2007

المُـجـرِمْ

المُـجـرِمُ مَـنْ عانــى التـُّـخْـمـَةَ والعالمُ جائِعْ

وتـَبـَخْـتـَرَ طـاووساً يـَهـذي والبـُؤسُ مَسامِعْ

وتـَرَنـّحَ مِـنْ وَطـْأِ الـذاتِ فـالـنـّفـْسُ مـَطـامـِعْ

ما عـرَفَ الفـاقـَةَ فـي يـَوْمٍ أوْ بَــلّ مَـدامِـعْ

يـَعـيـشُ يـَموتُ وَلـَمْ يـَعْـرِفْ حَـقّـاً أوْ رادِعْ

ويـَخالُ الـكـَوْنَ يـُطـالِـعُـهُ مِـنْ نـَجْمٍ سـاطِـعْ

ألـْـفـَقـْرُ لـَمُـوْمِـسـَةِ الدُنـْيا والمالُ مُـجامِـعْ

فبراير 2007

الذكريات

لِـمَ هـذه الـذكرى تعـودُ فـتـُوْجـِعُ

هَـــلّا تـراها إن تعـودُ سـتـنـْـفـَعُ ؟

ليتَ الخـيالَ إذا السـنـيـنُ تـَعـاقـَبـَتْ

صـارت سوالِـفـُهُ صَحـارٍ بَـلـْـقـَـعُ

مارس 1975

رَجَـبْ

إلى روح ابن عـمي رجب الذي حـصـد سائق سيارة ثَـمِلْ حـيـاتَه بـيـنـما كان يمـشي عـلـى الرصيـف في أحد شوارع مدينة دبي. وكان عـند وفاته في الثلاثين من عـمـره.

عـجـباً لهـذهِ الدنـيا عـَجَـبْ

تسحـقُ الـوَرْدَ

وَلوْ كانَ رَجـَبْ

يا حـبـيـبي غـَيَّبَ الموتُ جـَسَـدْ

لم يُغـيِّـبَ مِـنـْكَ روحـاً أو عَـدَدْ

لكَ فـي الـذِّهْـنِ جُـذورٌ

لكَ فـي الـقَـلْـبِ وَتَــدْ

لَـسْـتُ أنـْساكَ صَـغـيـراً

لَـسْـتُ أنـْسـاكَ ولَـدْ

لـسـتُ أنـْساكَ عَـريـساً

وأبٌ جَـدَّ وكَـدّْ

أنتَ فـيـنا حـاضِـرٌ

قاطِـنُ الروحِ أبَــدْ

يوليو 1996

الفهرس